الفساد في المجتمع آثاره وعلاجه

الباحث: م.م. مهدي احمد خضير السعدي

جامعة وارث الانبياء / كلية العلوم الاسلامية

mohhdy81@gmail.com

الملخص:

الفساد هو آفة مجتمعية يأكل أفراد مجتمع ما كما تأكل النار الحطب.

ولا يمكن اهمال الفساد والمفسدين، إذ يكون كغدة سرطانية تنهش لحم الأمة، ولا يترك إلا آثارا سيّئة على الإنسان كفرد، وعلى الأمة كمجتمع.

إلا أنّ الله تبارك وتعالى بلطفه وحكمته جعل سبلا لحد هذه الظاهرة، وأشار إلى آليات الحد من الفساد في المجتمع، بل في الفرد الواحد.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ".[سورة التوبة: ٣٤]

فالمال مادة في ذاته ليس سيّئا أو ممدوحا، بل من الوسائل التي احتاجه الناس في حياتهم اليومية، فالله تعالى جعل مصدرا لكسبه، كما جعل مخرجا لصرفه، بما يرضيه وما هو مصلحة الناس والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: (الفساد، المجتمع).

Corruption in society, its effects and treatment

Researcher: Mahdi Ahmed Khudair Al-Saadi

of Islamic Sciences Warith Al-Anbiya University / College

mohhdy81@gmail.com

Abstract:

Corruption is a societal scourge that consumes the members of a society like fire eats wood.

Corruption and the corruptors cannot be neglected, as it is like a cancerous gland that eats away at the flesh of the nation, leaving only bad effects on the person as an individual, and on the nation as a society.

However, God Almighty, in His kindness and wisdom, provided ways to limit this phenomenon, and pointed to mechanisms for reducing corruption in society, and even in the individual.

God Almighty says in the Holy Qur'an: "And those who hoard gold and silver and do not spend them in the way of God - give them good tidings of a painful punishment." [Surat Al-Tawbah:34]

Money is a substance in itself that is not bad or praiseworthy, but rather one of the means that people need in their daily lives. God Almighty made a source for earning it, and He also made a way out for spending it, to what pleases Him and what is in the interest of people and society.

Keywords: (corruption, society).

المقدمة:

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ".[سورة التوبة: ٣٤]

فالمال مادة في ذاته ليس سيّئا أو ممدوحا، بل من الوسائل التي احتاجه الناس في حياتهم اليومية، فالله تعالى جعل مصدرا لكسبه، كما جعل مخرجا لصرفه، بما يرضيه وما هو مصلحة الناس والمجتمع.

فمما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام حينما سئل عن الدينار والدرهم فلا: "هي خواتيم الله في أرضه، جعلها الله مصلحة لخلقه وبها تستقيم شؤونهم ومطالبهم، فمن أكثر له منها فقام بحقّ الله تعالى فيها وأدّى زكاتها فذاك الّذي طابت وخلصت له، ومن أكثر له منها فبخل بها ولم يؤدّ حقّ الله فيها واتخذ منها الآنية فذاك الّذي حقّ عليه وعيد الله عزّ وجلّ في كتابه، قال الله: "يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ"[سورة التوبة: ٣٥]"(الطوسي، ١٣٤٩: ٥٢٠)

فكما أشارت الرواية الشريفة أن المال جعله الله لمصلحة خلقه، بل به استقامة شؤون الناس واحتياجاتهم.

فإذا أراد الإنسان أن يطيب رزقه كلما كثر كلما ترتّب عليه زكاته، وهذا نظام مالي جعله الله تعالى في المجتمع الإسلامي لكي لا تظهر الفقراء والمساكين، ولا تكون هناك أغنياء.

إذ روى الشيخ الصدوق عن محمّدٍ بنِ إسماعيلَ بنِ بُزيع قالَ: سمعتُ الإمامَ الرّضا (عليه السّلام) يقولُ: "لا يجتمعُ المالُ إلّا بخصالٍ خمسٍ: ببُخلٍ شديدٍ، وأملٍ طويلٍ، وحرصٍ غالبٍ، وقطيعةِ الرّحمِ، وإيثارِ الدّنيا على الآخرة".(الصدوق، ١٤٢٤: ٢٨٢)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: "لا خير فيمن لا يحبّ جمع المال من حلال، يكفّ به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه".(الكليني، ٢٠٠٧: ١/ ٢٠)

إن المعنى من حب المال هو ليس الحرص والشرح في كسبه، فيقوم صباحا وحتى الليل يبدأ بكسب الدراهم والدنانير بأي وسيلة كانت، بالغش والسرقة والكذب وما إلى ذلك من الأمور المحرمة والمنهية عنها في الشريعة، بل هو جمع المال من الحلال لكفاف ماء الوجه، ولسد الحاجة، ولإيصال الرحم.

لكن سرعان ما ينسى الإنسان الطرق الصالحة لكسب المال، حيث نجده على أحوال شتى.

فذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أصناف من الناس وذكر في وصف الصنف الثالث أنّهم: "يحبّون جمع المال ممّا حلّ وحرم، ومنعه ممّا افتُرض ووجب، إن أنفقوه أنفقوا إسرافاً وبدارا، وإن أمسكوه أمسكوا بخلا واحتكارا، أولئك الّذين ملكت الدنيا زمام قلوبهم حتّى أوردتهم النار بذنوبهم". (المجلسي، ٢٠٠٩: ٧٤/ ١٨٥)

فالحديث عن وجوه الفساد سواء تحصيل المصلحة او امساك منع الحقوق او صرف الاموال وانفاقه في الحرام، يطول ذكره ولا يسع البحث للإطالة.

المبحث الأول: الفساد لغة واصطلاحا:

اولا: الفساد لغة:

أشارت المعاجم اللغوية إلى كلمة (فساد) إذ يعني (البطلان، أو التلف، أو الخلل وإلحاق الضرر).

وجاء فعل " "فَسَدَ" والذي يعدّ خلاف الصَلُحَ، قيل فسد الشيء، أي: بطل واضمحل، وتفاسد القوم، أي: تدابروا وقطعوا الأرحام".

الفساد لغة يعني "الإتلاف وإلحاق الضرر والأذى بالآخرين". [ابن منظور، ١٤١٤: مادة (فسد)]

ثانيا: الفساد اصطلاحا:

الفساد هو عمل غير أخلاقي ناتج عن عمل فرد أو مجموعة أفراد، سواء في الأسرة أو المجتمع أو العالم.

وما هو إلا من أجل إرضاء النفس أو المصالح الشخصية، دون النظر إلى المصلحة العامة، وما ينتجه العمل الفاسد من آثار سلبية على الفرد أو المجتمع.

فالفساد هو الإساءة العامة في الوظيفة لتحقيق مكاسب شخصية.

وهو من السلوكيات المنحرفة بعيدة عن الأخلاق والتقاليد والقانون، ويحتمل أن يكون باستغلال السلطة للربع أو المنفعة لصالح شخص أو جماعة أو حزب، ويعدّ انتهاكاً للمعايير الأخلاقية والدينية.

أنواع الفساد

أولا: ذكر الفساد في القرآن الكريم

وردت كلمة (فسد) بمشتقاتها في القرآن الكريم في آيات عديدة منها ما يلي:

١- سورة البقرة، آية ٢٠٥

أ- قال تعالى في سورة البقرة: "وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ".[سورة البقرة/٢٠٥]

قيل التولي هو الاعراض "عن الحسن، وقيل معناه ملك الأمر وصار واليا عن الضحاج، ومعناه إذا ولي سلطانا جاز وقيل ولي عن قوله الذي أعطاه عن ابن جريج".

وقيل "سعى في الأرض أي أسرع في المشي من عندك وعمل في الأرض ليقطع الرحم ويسفك الدماء، ويظهر الفساد ويعمل المعاصي ويهلك النبات والأولاد. وقيل أن الحرص النساء والنسل الأولاد لقوله "نساؤكم حرث لكم"". [سورة البقرة: ٢٢٣]

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "إن الحرث في الموضع الدين والنسل الناس".

"والله لا يحب الفساد" فالله تعالى لا يرجى بالفساد والمفسد، وهذا دليل "على بطلان قول المجبرة إذ أن الله يريد القبائح، لأنه نفى عن نفسه، حب الفساد، فالمحبة هي الإرادة لأن كل ما أحب الله أن يكون فقد أراد أن يكون وما لا يحب أن لا يكون لا يريد أن يكون".

فبيّنت الآية الكريمة أنّ من مصاديق الفساد هو سفك الدماء، وقطع الرقم، والعمل على إهلاك الزرع والأرض، وقتل الأولاد.

قال السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: "... إذا تمكن هذا المنافق الشديد الخصومة من العمل وأُوتي سلطاناً وتولى أمر الناس سعى في الأرض ليفسد فيها، ويمكن أن يكون التولي بمعنى الإعراض عن المخاطبة والمواجهة، أي إذا خرج من عندك كانت غيبته مخالفة لحضوره، وتبدل ما كان يظهره من طلب الصلاح والخير إلى السعي في الأرض لأجل الفساد والإفساد.

وقوله تعالى: {ويهلك الحرث والنسل}، ظاهره انه بيان لقوله تعالى: {ليفسد فيها}، أي يفسد فيها بإهلاك الحرث والنسل، ولما كان قوام النوع الإنساني من حيث الحياة والبقاء بالتغذي والتوليد فهما الركنان القويمان اللذان لا غنى عنهما للنوع في حال: أما التوليد فظاهر، وأما التغذي فإنما يركن الإنسان فيه إلى الحيوان والنبات، والحيوان يركن إلى النبات، فالنبات هو الأصل ويستحفظ بالحرث وهو تربية النبات، فلذلك علق الفساد على الحرث والنسل فالمعنى أنه يفسد في الأرض بإفناء الإنسان وإبادة هذا النوع بإهلاك الحرث والنسل.

والمراد بالفساد ليس ما هو فساد في الكون والوجود (الفساد التكويني) فإن النشأة نشأة الكون والفساد، وعالم التنازع في البقاء ولا كون إلا بفساد، ولا حياة إلا بموت، وهما متعانقان في هذا الوجود الطبيعي في النشأة الطبيعية، وحاشا أن يبغض الله سبحانه ما هو مقدره وقاضيه.

وانما هو الفساد المتعلق بالتشريع فإن الله إنما شرّع ما شرّعه من الدين ليصلح به أعمال عباده فيصلح أخلاقهم وملكات نفوسهم فيعتدل بذلك حال الإنسانية والجامعة البشرية، وعند ذلك تسعد حياتهم في الدنيا وحياتهم في الآخرة على ما سيجيء بيانه في قوله تعالى: كان الناس أُمه واحدة.

فهذا الذي يخالف ظاهر قوله باطن قلبه إذا سعى في الأرض بالفساد فإنما يفسد بما ظاهره الإصلاح بتحريف الكلمة عن موضعها، وتغيير حكم الله عما هو عليه والتصرف في التعاليم الدينية بما يؤدي إلى فساد الأخلاق واختلاف الكلمة، وفي ذلك موت الدين، وفناء الإنسانية، وفساد الدنيا، وقد صدق هذه الآيات ما جرى عليه التاريخ من ولاية رجال وركوبهم اكتاف هذه الأمة الإسلامية، وتصرفهم في أمر الدين والدنيا بما لم يستعقب للدين إلا وبالاً، وللمسلمين إلا انحطاطاً، وللأمة إلا اختلافاً، فلم يلبث الدين حتى صار لعبة لكل لاعب، ولا الإنسانية الا خطفة لكل خاطف، فنتيجة هذا السعي فساد الأرض، وذلك بهلاك الدين أولاً، وهلاك الإنسانية ثانياً، ولهذا فسر قوله ويهلك الحرث والنسل في بعض الروايات بهلاك الدين والإنسانية"، تفسير آية ٢٠٥ من سورة البقرة. (الطباطبائي، د.ت: ١/ ٢٣١)

ب- قال تعالى في سورة البقرة أيضاً: "فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ".[سورة البقرة/ ٢٥١].

فالهزم هو الدفع، والمراد بفساد الأرض هو فساد من على الأرض، من الناس والبشر، "ولو استتبع فساد الاجتماع فساداً في أديم الأرض فإنما هو داخل في الغرض بالتبع لا بالذات، وهذه حقيقة من الحقائق العلمية أشار إليها القرآن الكريم". (الطباطبائي، مصدر سابق).

إن ما جاء في اللغة عن الفساد هو العمل غير الصائب والذي نتج عن مصلحة شخصية أو مجموعة على المصلحة العامة، فإذا قام الإنسان بعمل فاسد أخل في الهيكل الاجتماعي على الأرض، فسعادة الإنسان لا تتم إلاَّ بالتعاون وعمل الجماعي.

"ومن المعلوم أن هذا الأمر لا يتم إلاَّ مع حصول وحدة ما في هيكل الاجتماع بها تتحد أعضاء الاجتماع وأجزائه بعضها مع بعض بحيث يعود الجميع كالفرد الواحد يفعل وينفعل عن نفس واحدة وبدن واحد، والوحدة الاجتماعية ومركبها الذي هو اجتماع أفراد النوع حالهما شبيه حال الوحدة الاجتماعية التي في الكون ومركبها الذي هو اجتماع أجزاء هذا العالم المشهود، ومن المعلوم أن وحدة

هذا النظام أعني نظام التكوين إنما هي نتيجة التأثير والتأثر الموجودين بين أجزاء العالم فلولا المغالبة بين الأسباب التكوينية وغلبة بعضها على بعض واندفاع بعضها الآخر عنه ومغلوبيتها له لم يرتبط أجزاء النظام بعضها ببعض بل بقي كل على فعليته التي هي له، وعند ذلك بطل الحركات فبطل عالم الوجود.

كذلك نظام الاجتماع الإنساني لو لم يقم على أساس التأثير والتأثر، والدفع والغلبة لم يرتبط أجزاء النظام بعضها ببعض، ولم يتحقق حينئذٍ نظام وبطلت سعادة النوع، فإنا لو فرضنا ارتفاع الدفع بهذا المعنى، وهو الغلبة وتحميل الإرادة من البين كان كل فرد من أفراد الاجتماع فعل فعلاً ينافي منافع الآخر (سواء منافعه المشروعة أو غيرها) لم يكن للآخر إرجاعه إلى ما يوافق منافعه ويلائمها وهكذا، وبذلك تنقطع الوحدة من بين الأجزاء وبطل الاجتماع".(الطباطبائي، مصدر سابق)

فيعبّر عن فطرة الإنسان الأولية للاجتماع "الاستخدام"، لكن التعاون والاشتراك في المدنية يعدّ أصل ثانوي.

فالنتيجة أن الدفع والغلبة معنى عام وهو يجري في جميع الشؤونات الاجتماعية للمجتمع الإنساني، "وحقيقته حمل الغير بأي وجه أمكن على ما يريده الإنسان، ودفعه عمّا يزاحمه ويمانعه عليه، وهذا معنى عام موجود في الحرب والسلم معاً، وفي الشدة والرخاء، والراحة والعناء جميعاً، وبين جميع الأفراد في جميع شعوب الاجتماع، نعم إنما يتنبه الإنسان له عند ظهور المخالفة ومزاحمة بعض الأفراد بعضهم في حقوق الحياة أو في الشهوات والميول ونحوها، فيشرع الإنسان في دفع الإنسان المزاحم الممانع عن حقه أو عن مشتهاه، ومعلوم أن هذا على مراتب ضعيفة وشديدة، والقتال والحرب إحدى مراتبه".(الطباطبائي، مصدر سابق)

فهناك عاملان بالفساد يوجب انحراف الإنسان على شرافته وكثرة منافعه عن الطبيعة الفطرية في الصدق وترك الكذب والباطل: "أحدهما: أنه لا يزال في كل عصر محكوماً للحكومة الحاضرة التي بيدها القوة والقدرة يميل إلى إظهار ما ينفعها ويغمض عمّا يضرها ويفسد الأمر عليها، وليس ذلك إلاَّ ما لا نشك فيه أن الحكومات المقتدرة في كل عصر تهتم بإفشاء ما تنتفع به من الحقائق وستر ما

تستضر به أو تلبيسها بلباس تنتفع به أو تصوير الباطل والكذب بصورة الحق والصدق، فإن الفرد من الإنسان والمجتمع منه مفطوران على جلب النفع ودفع الضرر بأي نحو أمكن، وهذا أمر لا يشك فيه من له أدنى شعور يشعر به الأوضاع العامة الحاضرة في زمان حياته ويتأمل به في تاريخ الأمم الماضية والبعيدة.

وثانيهما: أن المتحملين للأخبار والناقلين لها والمؤلفين فيها جميعهم لا يخلون من إعمال الإحساسات الباطنية والعصبيات القومية فيما يتحملون منها أو يقضون فيها، فإن حملة الأخبار في الماضين، والحكومة في أعصارهم حكومة الدين، كانوا منتحلين بنحلة ومتدينين كل بدين، وكانت الإحساسات المذهبية فيهم قوية والعصبيات القومية شديدة فلا محالة كانت تداخل الأخبار التاريخية من حيث اشتمالها على أحكام وأقضية كما أن العصبية المادية والإحساسات القوية اليوم للحرية على الدين وللهوى على العقل يوجب مداخلات من أهل الأخبار اليوم نظير مداخلات القدماء فيما ضبطوه أو نقلوه، ومن هنا إنك لا ترى أهل دين ونحلة فيما ألف أو جمع من الأخبار أودع شيئاً يخالف مذهبه فما ضبطه أهل كل مذهب موافق لأصول مذهبه، وكذا الأمر في النقل اليوم لا ترى كلمة تاريخية عملته أيديهم إلاَّ وفيه بعض التأييد للمذهب المادي". (الطباطبائي، مصدر سابق)

٢- سورة هود، آية ١١٦

قال تعالى: "فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ".[سورة هود/ ١١٦]

ويعني ذلك النفي، بتقدير أنّه لا يكون من القرون الأولى، أي: قبلكم، فهو تأنيب للذين سلكوا سبيل أقوام قبلهم في الفساد مثل قوم عاد وقوم ثمود، وسائر الأقوام الذين ذكروا في القرآن الكريم.

"فأخبر تعالى بهلاكها "أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض" فكان يجب أن يكون منهم قوم باقون في الارض ينهون عن الفساد في الارض مع إنعام الله عليهم بكمال العقل والقدرة، وبعثة الرسل اليهم، واقامة الحجج. وأولوا بقية هم الباقون، فعجب الله نبيه كيف لم يكن منهم بقية في الارض يأمرون فيها بالمعروف وينهون فيها عن المنكر، وكيف اجتمعوا على الكفر حتى استأصلهم الله بالعذاب والعقوبات

لكفرهم بالله ومعاصيهم له ثم استثنا بقوله {إلا قليلاً} والمعنى انهم هلكوا جميعاً الا قليلاً ممن انجى الله منهم، وهم الذين آمنوا مع الرسل، ونجوا معهم من العذاب الذي نزل بقومهم. وقوله {واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين } معناه أنهم اتبعوا التلذذ والتنعم بالاموال والنعم التي أعطاهم الله اياها، وقضوا الشهوات وذلك من الحرام. وبين انهم كانوا بذلك مجرمين عاصين لله تعالى. وقال الفراء والزجاج: ان قوله { إلا قليلاً } استثناء منقطع، لأنه ايجاب لما تقدم فيه صيغة النفي وإنما تقدم تهجين لمخرج السؤال، ولو رفع لجاز في الكلام. ومعنى { أترفوا فيه } اي عوّدوا الترفة بالتنعيم واللذة، وذلك ان الترفة عادة النعمة قال الشاعر:

يهدي رؤس المترفين الصداد *** الى أمير المؤمنين الممتاد

اي المسؤل، وأبطر بهم النعمة حتى طغوا وبغوا، وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر، لأنه تعالى ذمهم بترك النهي عن الفساد، وانه نجا القليل بنهيهم عنه، فلو نهى الكثير كما نهى القليل لما اهلكوا، ومعنى {أولوا بقية} اصحاب جماعة تبقى من نسلهم، والبقية ممدوحة يقال في فلان بقية أي فيه فضل وخير، كأنه قيل بقية خير من الخير الماضي". (الطوسي، مصدر سابق: ١/ ٢٥)

وقد اشارت الآية الكريمة إلى تاريخ الفساد، فقبل خلق آدم على نبينا وآله وعليه السلام كان الفساد موجودا كما قالت الملائكة اعتراضا على الله تعالى حينما أراد أن يجعل خليفة في الأرض: "وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ قَالَ إِنّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ" [سورة البقرة: ٣٠].

فيظهر وجود الفساد في الكون منذ الأزل، إلا أنّ الإنسان بطبيعة فطرته السليمة لا يميل عقلا إلى الفساد، لأنّ العقل يرجّح الصواب على الخطأ، بعكس الهوى والنفس الأمارة بالسوء والتي تحب الأنانية والميل إلى الراحة والمصلحة الشخصية حتى وإن كانت هناك مفسدة عامة للآخرين.

٣- سورة القصص، آية ٧٧

قال تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ". [سورة القصص: ٧٧]

قوله تعالى "وَابْتَغِ فِيمَا أَتَاكَ اللهُ من الغنى "الدّارَ الآخِرَةَ بصرفه فيما يوجبها لك "{وَلاَ تَنْسَ" ولاَ تَتْرُك {نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيا}في المعاني عنه عن ابيه عن جدّه عن امير المؤمنين عليهم السلام قال: "لا تنس صحّتك وقوّتك وفراغك وشبابك ونشاطك ان تطلب بها الآخرة {وَأَحسِنْ} الى عباد الله {كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ} فيما انعم عليك او احسن الشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام {وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}".(الصدوق، ١٩٨٢: ٤٥)

وقال الصادق عليه السلام: "فساد الظاهر من فساد الباطن ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته ومن خان الله في السرّ هتك الله سرّه في العلانية واعظم الفساد ان يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى اذ هذا الفساد يتولّد من طول الامد والحرص والكبر كما اخبر الله تعالى في قصّة قارون في قوله {وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِى الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ} وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده واصلها من حبّ الدنيا وجمعها ومتابعة النفس وهواها واقامة شهواتها وحبّ المحمدة وموافقة الشيطان واتّباع خطراته وكلّ ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منّته". (الإمام الصادق عليه السلام، ١٩٨٠ : ١٠٧)

تنهى الآية الكريمة عن طلب الفساد في الأرض إذ أن الله تعالى خالق الكون وهو لا يحب الفساد ولا يأمر المخلوقين بالفساد، بل أشار إلى الإحسان بطبيعة إحسانه تعالى للإنسان، وهذا هو كما يعبّر عنه برد الجميل.

وهناك آيات كثيرة وردت فيها مفردة الفساد ومشتقاتها إذا أنّ المقام لا يسع عن ذكرها.

ثانيا: ذكر الفساد في السنة النبوية

إن السنّة الشريفة أكّدت على مخاطر الفساد على الفرد والمجتمع، وما تؤول إليه آثار المفاسد على الأرض كما بيّنتها الآيات الكريمة بصورة كلية.

إلا أنّ روايات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام حثّت على الابتعاد عن الفساد، بل أشارت إلى أنّ الفساد الظاهري هو من فساد الباطن.

فكلّما أصل العبد سريرته وباطنه صلح ظاهره، فحينما يرى الله تعالى أنّ عبده متّجه إلى إصلاح ذاته وسريرته سيقوم بإعانته على وتوفيقه وتسديده.

هناك جملة من الروايات الشريفة والمتواترة في باب الفساد وردت في الكتب الروائية والحديثية إلا أنّنا نكتفي برواية واحدة عن الإمام الصادق عليه السلام والتي بيّنه فيها مجمل آثار الفساد وكيفية الحد منه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: "فَسَادُ الظَّاهِرِ مِنْ فَسَادِ الْبَاطِنِ.

وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ.

وَمَنْ خَافَ اللَّهَ فِي السِّرِّ لَمْ يَهْتِكِ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ.

وَمَنْ خَانَ اللَّهَ فِي السِّرِّ هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ.

وَأَعْظَمُ الْفَسَادِ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِالْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهَذَا الْفَسَادُ يَتَوَلَّدُ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ وَالْحِرْصِ وَالْكِبْرِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ قَارُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} وَقَوْلِهِ تَعَالَى {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ مِنْ صُنْعِ قَارُونَ وَاعْتِقَادِهِ.

وَأَصْلُهَا مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَمُتَابَعَةِ النَّفْسِ وَهَوَاهَا وَإِقَامَةِ شَهَوَاتِهَا وَحُبِّ الْمَحْمَدَةِ وَمُوَافَقَةِ الشَّيْطَانِ وَاتِّبَاعِ خُطُوَاتِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْتَمِعُ تَحْتَ الْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَنِسْيَانِ مِنَنِهِ.

وَعِلَاجُ ذَلِكَ الْفِرَارُ مِنَ النَّاسِ وَرَفْضُ الدُّنْيَا وَطَلَاقُ الرَّاحَةِ وَالِانْقِطَاعُ عَنِ الْعَادَاتِ وَقَطْعُ عُرُوقِ مَنَابِتِ الشَّهَوَاتِ بِدَوَامِ الذِّكْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلُزُومُ الطَّاعَةِ لَهُ وَاحْتِمَالُ جَفَاءِ الْخَلْقِ وَمُلَازَمَةِ الْقَرِينِ وَشَمَاتَةِ الْعَدُوِّ مِنَ الْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ.

فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحْتَ عَلَيْكَ بَابَ عَطْفِ اللَّهِ وَحُسْنِ نَظَرِهِ إِلَيْكَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَخَرَجْتَ مِنْ جُمْلَةِ الْغَافِلِينَ وَفَكَكْتَ قَلْبَكَ مِنْ أَسْرِ الشَّيْطَانِ وَقَدِمْتَ بَابَ اللَّهِ فِي مَعْشَرِ الْوَارِدِينَ إِلَيْهِ وَسَلَكْتَ مَسْلَكاً رَجَوْتَ الْإِذْنَ بِالدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ الرَّحِيمِ وَاسْتِبْطَاءِ بِسَاطِهِ عَلَى شَرْطِ الإِذْنِ.

وَمَنْ وَطِئَ بِسَاطَ الْمَلِكِ عَلَى شَرْطِ الْإِذْنِ لَا يُحْرَمُ سَلَامَتَهُ وَكَرَامَتَهُ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الْكَرِيمُ وَالْجَوَادُ الرَّحِيم". (الإمام الصادق عليه السلام، مصدر سابق : ١٠٧-١٠٨)

ثالثا: تقسيمات الفساد:

كما بيّنا أن الفساد هو سوء استخدام الوظيفة العامة أو الخاصة من أجل مكسب شخصي دون النظر إلى الآثار المترتبة الفردية أو الجماعية.

تم تقسيم الفساد بمختلف الأنواع منها على النحو الآتي:

١- الفساد الإداري

أ- الفساد الآني: "هذا الفساد يحدث حينما يحين فرصة للموظف، وغالبا من قبل أبسط الموظفين يتم هذا الفساد، مثل حالات الاختلاس او اخذ الرشاوي الخفيفة او سرقة الادوات المكتبية".

ب- الفساد المنظّم: "هذا الفساد هو فساد إدارة المنظمة، أي: تتحول إدارة المؤسسة أو المركز إلى إدارة فاسدة، وهي التي تدير عم شبكة فاسدة، وتستفيد العناصر منها، وهو مبني على اعتماد كل عنصر على العنصر الآخر، مثل شبكة الفساد التي تحتوي على مدير الدائرة ومدراء الأقسام والمشاريع والمدير المالي والمسؤول التجاري ومسؤول التدقيق والرقابة".

ج- الفساد الكلي: هو ابرام عقود وصفقات وهمية وتحويل أموال طائلة والممتلكات العامة إلى مصالح شخصية، وهي على النحو الآتي:

- الفساد السياسي: "وهو إساءة استخدام السلطة العامة من قبل النخب السياسية الحاكمة لاهداف غير مشروعة وعادة ما تكون سريعة لتحقيق مكاسب شخصية كما ان الفساد السياسي يقوض الديمقراطية ويسقط الحكوما ويشوّه ويؤثر على عملية صنع القرار، كما انه يسهل النشاطات الاجرامية من قبيل

المتاجرة بالمخدرات أو غسيل الأموال ومن مظاهر الفساد السياسي فقدان الديمقراطية وفساد الحكام وتفشي المحسوبية".

دوافع واسباب الفساد الاداري:

هناك أسباب ودوافع تؤدي إلى خلق الفساد الاداري منها ما يلي:

أ- الأسباب السياسية: فساد أصحاب القرار المتمثلة بالسياسيين الفاسدين لعدم وجود شخص صالح.

ب- عجز جهاز الدولة عن تأمين احتياجات المواطنين.

ج- انعدام العدل والقسط في توزيع الثروات على المواطنين.

د- حصانة السياسي وكبار المسؤولين من المسائلة والخضوع للاستجواب القانوني.

هـ- انعدام أدوات مؤسسات المجتمع المدني والخاصة بالرقابة المالية ومحاسبة الفاسدين.

و- الغاء دور القضاء الأعلى في رفع الدعاوي ومتابعة الشكاوي على السياسي الفاسد.

ز- عدم التخطيط للعملية الاقتصادية والتنموية على اساس غياب الدراسات الاستراتيجية للمشاريع وسوء توزيع الإيرادات والثروات.

ح- انخفاض رواتب وأجور الموظفين في دوائر قطاع العام وتراجع مستوى دخل الفرد وغلاء الأسعار وارتفاع مستوى العيش بسبب عدم وجود استراتيجية اقتصادية عامة للبلاد.

ط- انعدام الولاء للوطن والأرض والالتزام بتقاليد اجتماعية مثل تقاليد العشيرة والقبيلة والطائفة.

ي- القصور لتطبيق القوانين واللوائح اللازمة لتحقيق المصلحة العامة، كذلك عدم محاسبة الفاسدين وعدم أخذ العبر من الشعوب السابقة وكيفية معالجة الفساد.

إنّ التقصير والتهاون في تطبيق العقوبة، يؤدي إلى زيادة الفساد والجريمة، وكما قيل "من أمن العقاب أساء الأدب".

فحينما تنعدم الردع، تظهر الرغبة في الجريمة والفساد، وهذا مما يسهل الأمر على الفاسدين وضعاف النفوس، وعديمي الضمائر، لخلو النفس من القيم والمبادئ الإنسانية الأصيلة.

فالنتيجة هو هدر المال العام، وسبب حدوث أضرار في أجهزة الدولة ومؤسساتها، بسبب عدم تنفيذ العقوبات، أو المسائلة، فهناك أسباب مخفية لا يتم تطبيق العقوبات على الفاسد، بل ما هو أسوء منه أن المفسد يُكافأ بمنصب آخر، أو ينقل إليه الانحراف الوظيفي والمتمثل بالفساد الادارية والمالي.

المبحث الثاني: الفساد من منظور اسلامي

في المنظور الإسلامي، الفساد يُعتبر من الأمور المحرمة والمنكرات التي يجب مكافحتها والبعد عنها. فالإسلام يؤكد على قيم النزاهة والأمانة والعدل في جميع جوانب الحياة.

من منظور القرآن الكريم، الفساد يُعرف بأنه "الإفساد في الأرض" وهو مما يُنهى عنه ويُحذر منه بشدة. قال تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ".[سورة الأعراف/ ٥٦]

كما أن السنة النبوية الشريفة تحرم الرشوة والاختلاس والغش والتزوير وسائر أشكال الفساد. فالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لعن الراشي والمرتشي وقال: "لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ".(ابن حنبل، ٢٠٠١ : ح٩٠٢٣)

كما حذر من الإساءة إلى بيت المال والاستيلاء عليه بغير حق.

وفي حديث آخر، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ".(البخاري، ٢٠٠٢ : ح٧١٥٠)

فهذا الحديث يؤكد على أهمية النزاهة والإخلاص في تأدية المسؤوليات العامة.

وفي الفقه الإسلامي، الفساد يُعتبر من الكبائر التي تستوجب العقاب الأخروي والدنيوي.

وقد شرع الإسلام عقوبات رادعة للفساد كالحد والتعزير لمكافحته وصيانة المجتمع.

فالإسلام يُعتبر الفساد أمرًا منكرًا ويدعو إلى القيام بالإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمكافحته.

وهذا ما يؤكد على ضرورة التصدي للفساد من منظور ديني وأخلاقي.

الفساد في الفقه الإسلامي

أما الفساد في الفقه الإسلامي فيُعتبر من الكبائر التي تستوجب العقاب الأخروي والدنيوي. وقد شرع الإسلام عقوبات رادعة للفساد كالحد والتعزير لمكافحته وصيانة المجتمع.

فالسرقة والاختلاس والرشوة والغش كلها أشكال للفساد تستوجب عقوبات شرعية. كما أن الفقهاء اعتبروا الفساد في الأرض من الجرائم التي تستوجب التعزير بما يردع المفسدين ويصون المجتمع.

أهمية مكافحة الفساد في الإسلام

يُعتبر الفساد أمرًا منكرًا في الإسلام، ويدعو إلى القيام بالإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمكافحته. وهذا ما يؤكد على ضرورة التصدي للفساد من منظور ديني وأخلاقي.

فالفساد ينافي قيم الإسلام ويتعارض مع مبادئه السامية. كما أنه يلحق ضررًا بالفرد والمجتمع على حد سواء. لذلك، فإن مكافحة الفساد تُعد من أهم الواجبات الشرعية والأخلاقية في الإسلام.

وتتجلى أهمية مكافحة الفساد في الإسلام في النقاط التالية:

١. حفظ المال العام والموارد الوطنية من الهدر والإسراف.
٢. تعزيز قيم النزاهة والأمانة والعدالة في المجتمع.
٣. تحقيق التنمية المستدامة وتحسين مستوى معيشة المواطنين.
٤. صيانة هيبة الدولة والحفاظ على سيادة القانون.
٥. تقوية الروابط الاجتماعية وتعزيز الثقة بين المواطنين والحكومة.
٦. المحافظة على القيم والأخلاق الإسلامية في المجتمع.

وعليه، فإن مكافحة الفساد تُعد مسؤولية جماعية في الإسلام، تقع على عاتق الحكام والمسؤولين والمواطنين على حد سواء. فالجميع مطالبون بالإسهام في محاربة هذه الظاهرة الخطيرة التي تُهدد استقرار المجتمع وتنميته.

المبحث الثالث: مكافحة الفساد والحد منه

بناء هيكل تنظيمي إداري واضح وفعّال: إذ يجب أن يكون للمؤسسات نظام إداري يفصل بين المسؤوليات ويوزعها بشكل واضح لمنع التضارب والأخطاء المتعمدة.

وجود نظام محاسبة صحيح: فيعتبر نظام المحاسبة الصحيح من العوامل الأساسية لنجاح الرقابة الداخلية ويجب أن يشمل المساءلة عن الأنشطة المختلفة وإعداد الحسابات الختامية.

التخطيط لوضع واجبات تنفيذية: يجب توزيع الأوليات والمهام بين أقسام متعددة لضمان وجود الضبط الداخلي أو مراقبة الآلية أثناء تنفيذ العملية.

اختيار الموظفين الكفؤ وتعيينهم في المناصب المناسبة: إذ يجب توفير برنامج لتدريب الموظفين وضمان حسن الاختيار لاستغلال الكفاءات المختلفة بشكل فعّال.

إعداد نظام دقيق لمراقبة أداء الموظفين: يجب تفسير نتيجة الرقابة لتعيين غاية الأهداف الرئيسة وآلية استخدام الموارد المتاحة.

هذه الإجراءات تساعد في تعزيز الشفافية والمساءلة وتقليل فرص الفساد المالي.

جاءت الشريعة الإسلامية ظاهر الفساد والحد منه، وجاء الحل للفساد لكل شكل بحسبه.

فالدين الإسلامي اعتبر الفساد هو ظلم عامة الناس بل أعدّه خيانة الأمانة، وقد أشار إلى ضرورة معاقبة الفاسد في الأرض، بل وشدّد على عدم الأخذ غيره بجريرته، إذ أشارت الآية القرآنية إلى أعظم حرمة هو أن يعاقب عبد بجريرة فساد شخص ما بقوله: {ولا تزروا وازرة وزر أخرى}.[سورة النجم: ٣٨.]

وقد أشرنا إلى أنّ الله تعالى يبغض الفساد والفاسدين ويحب الإصلاح والمصلحين، كما أشار سيد الشهداء عليه السلام بقوله: "وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أُمّة جدّي محمّد، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر".(المجلسي، مصدر سابق: ٤٤/ ٣٢٩)

فكان أهل البيت عليهم السلام هدفهم الوحيد هو إصلاح الأمة والناس، وإبعادهم عن الفساد.

وأشار الإسلام إلى ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنّما هلكت أقوام قبلنا بترك هذا الفرع من فروع الدين، فكانوا لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

فمنهم من ينهى عن المنكر بنظرة ومنهم بكلمة ومنهم بعقوبة، وكل بحسب فطرته وسريرته الذاتية.

ولا يخفى علينا أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام أكّدت على أهمية التربية الأخلاقية في الحدّ من الفساد، وذلك من خلال غرس القيم والمبادئ الإيجابية في نفوس أفراد المجتمع، مثل الصدق والأمانة والعدل والمسؤولية.

كذلك شدّد الدين الإسلامي على أهمية الوعي الديني في الحدّ من الفساد، وذلك من خلال توعية الناس بمخاطر الفساد وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع، وحثّهم على الالتزام بتعاليم الإسلام.

وقد أشار الدين إلى الإصلاح لمكافحة الفساد، وذلك من خلال إقامة نظام حكم عادل يُطبّق فيه القانون على الجميع دون تمييز، ويُحاسب فيه الفاسدون على أفعالهم. وأكد على أهمية المشاركة المجتمعية في الحدّ من الفساد، وذلك من خلال تعاون أفراد المجتمع لمحاربة الفساد بكل أشكاله، والإبلاغ عن المفسدين.

وقد دعت الشريعة الإسلامية إلى الرقابة الذاتية لمكافحة الفساد، وذلك من خلال محاسبة كلّ فرد نفسه على أفعاله، والابتعاد عن كلّ ما يُفسد عقله وقلبه.

الخاتمة:

في الختام، يُمكن القول إن الإسلام ينظر إلى الفساد بوصفه أمرًا منكرًا وخطيرًا على الفرد والمجتمع. فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد حذرتا منه واعتبرتاه من الكبائر التي تستوجب العقاب الأخروي والدنيوي.

وبالتالي، فإن مكافحة الفساد تُعد واجبًا شرعيًا وأخلاقيًا في الإسلام.

المراجع والمصادر:

الأمالي، الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، و بهزاد الجعفري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٨١هـ.

الخصال، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ(الشيخ الصدوق) (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، تحقيق ونشر وطبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٤هـ.

أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، منشورات الفجر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ)، نشر مؤسسة احياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، نشر دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

الميزان في تفسير القران،العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، طبعة منقحة ومصححة.

التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، نشر وطبع منشورات مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ.

معاني الأخبار، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تصحيح الشيخ علي أكبر الغفاري، منشورات جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران، ١٩٨٢م.

مصباح الشريعة (المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام)، نشر وطبع منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.